بشير الجميل : عزلة عن الجماهير المسيحية واستياء داخل الحزب

ردّ الفعل المباشر لهزائم اليمين العسكرية

سقوط الاوهام في اوساط الجماهير المسيحية

موجة من السخط ضد الجرائم الطائفية والقيادات العسكرية

تحفل اجواء الجماهير المسيحية بتطورات متيرة هذه الايام ، وابرز ما في هذه التطورات سقوط اوهام الانتصارات الفاشية ، وانتشار تيار نقدي عميق يتناول كل المسلمات التي عززتها المرحلة السابقة . ويشمل ذلك انتقاد حزب الكتائب ، وقياداته العليا والوسطى وكوادره الصغرى ، كما يشمل انتقاد ظواهر السرقة والخوة والخطف والذبح على الهوية ، والتمتيل بالجثث واحراقها . ويستلفت النظر ايضا الكلام الكثير عن « الدكاكين » - اي المجموعات العسكرية - التي تمارس نوعا من « البلطجة » في الاحياء .

وتشكل الاجواء الحالية رد فعل مباشر على الهزائم العسكرية التي لحقت باليمين في معارك الفنادق والجبل ، وعلى الضربات السياسية التي تلقاها الخط الفاشي في اعقاب تضخم ظاهرة الجيش العربي وتحركات كبار الضباط وانقلاب الاحدب ، والتي توجت بقيام اجماع شعبي وسياسي على وجوب استقالة سليمان فرنجيه . وهذه الاجواء ، في الوقت نفسه ، امتداد لحالة الخلل والتضعضع التي اعقبت معركة الدامور الحاسمة عسكريا (رغم تأكيدنا مرارا انها « وصمة عار » من حيث ممارسات ما بعد الاجتياح) .

تبرير الهزيمة

تلقى الاصداء الاولى لمعارك الفنادق اعضاء الميليشيات انفسهم ، وللمرة الاولى ، ربما ، اجمع المقاتلون اليمينيون الذين خاضوا تلك المعارك على الحديث عن « شراسة » مقاتلي الجانب الوطني وعن الفرق الشاسع عما اعتادوه في معارك الاشهر السابقة ... وعن استحالة الصمود في الفنادق ، بالامكانات الذاتية وحدها . وكان بين التفسيرات التي عممها اعضاء الكتائب ان قوات الميليشيا كانت تعاني من النقص في الذخائر ومن انخفاض مستوى الاسلحة الفردية . ولكن الرأي العام في المناطق المسيحية لا يبدو مستعدا لقبول هذه التفسيرات ، خاصة بعد الدعايات التي عممتها اجهزة الاعلام الفاشية في الاشهر السابقة ، والتي اعتمدت اسلوب المبالغة في وصف انواع وكميات السلاح الذي تملكه الميليشيات .

ويستخلص المرء من الانتقادات المريرة التي يوجهها مسؤولو الاحزاب اليمينية « للشباب » في المناطق المسيحية ، ان عدة مئات من اعضاء الميليشيات (وبالمناسبة ، فالغالبية العظمى من الميليشيات لم تكن تنتمي الى اي حزب قبل سنة او سنة ونصف على الاكثر) باتوا يأبون النزول للقتال في منطقة الفنادق والاسواق التجارية . ويلجأ مسؤولو هذه الاحزاب لاسلوب التهويل حين يؤكدون ان سقوط الصيفي سوف يعني انتهاء معركة العاصمة .. وسقوط الاشرفية . وتؤكد هذه الاحاديث المتداولة على نطاق واسع ما سبق ونشرته بعض الصحف اليومية حول رفض مئات المقاتلين اليمينيين الاستمرار في القتال في اعقاب وقوف الجميل وشمعون والقسيس الى جانب بقاء سليمان فرنجيه .

محاولات يائسة

لقد احدثت الحركة الداعية لاقالة فرنجيه معاطفا واسعا جدا في صفوف الجماهير المسيحية التي لا تقل اشمئزازا من الحاكم عن بقية الجماهير الوطنية ، وخلق هذا التعاطف ضغوطا على القيادات اليمينية جعل بعضها يتبنى حركة الاقالة علنا - سعيد عقل والشمالي وبشير الجميل مثلا - وقد شهدت الكتائب حالة بلبلة سببها الخلاف بين بشير الجميل ، الذي اصدر بيان تأييد للاحدب ، ووالده الذي انحاز ، بعد فترة تردد ، الى موقف شمعون المتصلب . وبعد ذلك جاءت الهزائم العسكرية لتزيد في خيبة الامل وفي التذمر الشامل . وكان احد مظاهر خيبة الامل هذ ه افتتاح خط السفر بين جونيه وقبرص ، اي خط « الفرار من المعركة » . ومن الامور ذات المغزى ان الكتائب منعت سفر الشباب غير المتزوجين الذين يقل عمرهم عن ٤٠ سنة . فالواضح ان الاكثر رغبة في السفر كانوا المجندين في الميليشيات انفسهم ، الذين تنازعتهم مشاعر الذعر امام الاجتياح العسكري والاشمئزاز من « قذارة » المعركة

الظاهرة الاخرى التي ينبغي التوقف عندها هي ظاهرة انتقاد المسؤولين الحزبيين . ويتولى توجيه الانتقادات الناس العاديون والاعضاء الحزبيون الصغار على السواء . وعكس عملية « تاليه » حزب الكتائب وقياديه البارزين في الاشهر السابقة فان الناس تعبر بقوة عن استيائها من بشير الجميل مثلا ، الذي اكتشفت فجأة انه « غبي » ومتخلف وان كل فضائله التي اهلته لمراكز قيادية هي انه ابن بيار الجميل فحسب! وتوجه الانتقادات للشيخ بيار لانه « لا يفهم بالسياسة » ولان خطه اوصل « المسيحيين » الى الهزيمة .

ومن الاشياء الجديدة ان الجمهور العادي بدأ يهاجم الاحزاب بسبب اعتمادها على مجموعات من « الزعران » التي تمارس الخوة والسرقة والارهاب في الاحياء والقرى . ويتساءل الناس عما اذا كانت ارادت . واما مسؤولو الكتائب والاحرار فيبررون تلك الممارسات بالحديث عن ضرورات المعركة المسلحة التي تفرض الاستعانة بأي كان للوقوف في وجه « اليسار الدولي » ! ويقال ان مجموعات من اللصوص نعيث نهبا في منطقة المرفأ وان الحرائق التي اضرمت في بعض المستودعات كانت من فعل هؤلاء ولتغطية عملية سرقة المستودعات والعنابر الاخرى . وقد لوحظ ان حزب الكتائب لجأ الى اعتقال عشرات اللصوص الصغار في منطقة المرفأ وذلك تفاديا للانتقادات الشعبية ، وكذلك الانتقادات المريرة من جانب التجار الكبار الذين لم تسلم بضائعهم رغم انهم تولوا تمويل الكتائب والاحرار خلال السنة الماضية كلها .

يجدر الانتباه ايضا الى تجرؤ الناس على التنديد بأعمال الذبح والتمثيل التي ارتكبت في الاشهر الماضية (بينها حادث السبت الاسود مثلا) ، والى الضغوط التي يمارسونها من اجل الحؤول دون ارتكاب اعمال جديدة مماثلة . وحجة الناس العاديين ان هذه الاعمال يستعرض ابناء الحي او القرية المعنية لاعمال انتقام مماثلة .

ـ اليأس والبديل

مقابل هذه الاجواء التي تدل بوضوح على ان هنالك انخفاضا في التفاف الناس حول حزب الكتائب ، فان الدعايات الفاشية ما تزال تركز على الاعمال الهمجية التي ارتكبها بعض المحسوبين على الحركة الوطنية في قرى الجبل - وخاصة عينطورة . ويهدف هذا التهويل الى سد الطريق على التذمر الجماهيري عن طريق وضع الناس امام مازق مسدود . فاذا كانت الكتائب اخطات ولحقت بها الهزيمة ، فان الطرف الوطني لا يقدم سوى الذبح على التذكرة ! واذن فلا مفر سوى الهجرة او استقدام قوات اجنبية او التقسيم . وتلك نقطة تستحق الاهتمام الشديد . ان اليأس هو الوصف الافضل للحالة التي يعيشها المواطن المسيحي في المناطق الخاضعة لسيطرة الفاشيست . والمطلوب ان تقدم الحركة الوطنية بديلا وطنيا وتقدميا لهذا اليأس . ومطلوب منها ان تحاسب نفسها على ممارساتها المتخلفة ، وان تخاطب الجمهور المسيحي مباشرة ، متجاوزة القيادات التي اوصلته الى حافة الانهيار . وما حالة التذمر الحالية ، الجماهيرية ، سوى دليل على ان هنالك هوة بين قيادات الفاشيست وجماهيرهم تتيح مخاطبة الجماهير مباشرة .

فهل تستطيع الحركة الوطنية بعد ، ورغم انغماس بعض فصائلها في ممارسات طائفية متخلفة وانتهازية ، ان تخاطب جماهير المسيحيين الذين يعيشون في مناطق « الغيتو » ات ، للتفلت من هيمنة الكتائب ولانتقاد ممارساتها وقيادتها ؟ ان اللحظة الراهنة مناسبة . ولكن القدرة على الاستفادة منها تفترض في الوطنيين ان « يتذكروا ان جماهير الطرف الاخر هي « جماهيرنا » المضللة ، وتفترض الزهان الواثق بقدرة هذه الجماهير المسيحية على ان تسهم في معركة التحرر الوطني وفي معركة التغيير .

مصطفى

لماذا فرضوا منع التجوّل في عين الرمانة والحازمية ؟

ترك انحسار الوجود الكتائبي عن منطقة الفنادق الكبرى والاسواق التجاريه آثارا غير متوقعة في المناطق التي يسيطر عليها الفاشيست . فحين لم يعد باستطاعة الميليشيا ان تنهب المحلات التجارية والمنازل الضخمة الممتدة من الهولیداي ان حتى المرفأ ، فانها ارتدت الى الاشرفية وعين الرمانة وفرن الشباك والحازمية . وقد بلغت موجه الاجرام والسرقة في المناطق المذكورة حدا دفع حزبي الكتائب والاحرار الى فرض منع التجول كل ليلة من العاشرة حتى السادسة صباحا ، مع التهديد باطلاق النار على كل مسلح يتجول دون ان يكون مكلفا بمهمة . ووجه بشير الجميل ، في جريدة « العمل » تهديدا تضمن استعداده لقمع « المخالفات » بالقوة . وكان واضحا ان التهديد يتناول اعضاء الحزب والانصار .

هذا وقد شهدت منطقة عين الرمانة بالذات حوادث اجرامية بشعة اثارت استنكار الناس ، خاصة انها خلت من اي طابع سياسي . فقد استهدفت عائلات مسيحية ثرية ، وبدافع السرقة وحده .

مع ذلك ينتظر ان لا تكون للاجراءات الكتائبية آثار فعلية . فقمع السرقات والاعتداءات يعني التصدي لـ « زعران » الاحياء الذين باتوا يشكلون اغلبية المقاتلين المستعدين بعد للاشتراك في القتال في المناطق الخطرة . ولا سبيل للكتائب للاستغناء عن هؤلاء في أوضاع الخسارة العسكرية ، ومع تزايد انفضاض عناصر الشباب من حول الميليشيا .